ذلـك ما دفعنا للقول بأن العبثية التـي نعيش فيها وأفضت إلى ذلك الواقع المتردي كان نتيجة منطقية لتهافت الخطاب الديني وحمق المشروع العلماني.

❐❐❐

العنف والتطرف الديني ومستقبل الإسلام

لقـد اعتمد النهج الخطابي الدعوي الحديث على ثلاثة مناهج؛ هي المنهج النقـدي، والمقـارن والوصفـي؛ لإثبات العمـد والركائز الرئيسـة التي تعبر عـن جوهر الإسـلام وهويته، واجتهـد الدعاة في دحـض الآراء الطاعنة في الإسـلام؛ اسـتنادًا إلى الوقعات التاريخية والأسـاليب الشرعية المستمدة من القرآن والسـنة وسيرة النبي، ثم راحوا يحللون بنية الثقافة الغربية ويقابلون بين سـوالبها وإيجابيات الفكر الإسـلامي، وأخيرًا عكفوا على توضيح القيم الأصيلة المسـتمدة من الإسـلام؛ لبناء الحضـارة والمدنيّـة، ويمكننا تلخيص متون الخطابات الدعوية التي ظهرت منذ أخريات القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين في ما يلي:

- ❐ أن الإسلام لا يناهض العلم، ولا يحجر على المفكرين والمبدعين، ومن ثم: فهو ليس راديكاليًّا أو رجعيًّا أو شيفونيًّا أو متعصّبًا.
- ❐ أن الإسـلام يدعـو إلى التجديـد والتحديـث، ويفصل بـين الثوابت التي هـي عمد الهوية الإسـلامية والمتغيرات الحضاريـة التي تتبدل تبعًا للسـنن الكونيّة والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومـن ثم: فتح باب الاجتهاد عـلى مصراعيه لمن لديه الدربة والدراية بأصول الدين وضوابطها الشرعية.

- أن الإسلام أبعد ما يكون عن التحيّز للعرق أو الطبقة أو الملّة؛ فهو رسالة للناس كافة، من آمن بها بقناعة وحرّيّة و إرادة وعقل فقد ظفر بحسن المقام في الدنيا وخير المأوى في الآخرة، أما من أبى؛ انتصارًا لملة أخرى فلا سبيل إليه إلا النصح بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا إكراه في الدّين، وهو آمن مستأمن بكل حقوق المواطنة في بلاد المسلمين.
- أنّ البرّ والرحمة والمودة والتعاون والعدالة والتسامح والمساواة من القيم التي يحرص عليها المجتمع الإسلامي دون أدنى تعصّب للملّة أو تشيّع لمذهب.
- أنّ الدعوة للسلم والحرص عليه ومراعاة حقوق الجوار من الثوابت الأخلاقية الإسلامية، فلا اعتداء ولا سلب ولا نهب، ولا بغي في الحرب، ولا تمثيل ولا تنكيل، فالحرب الإسلامية المشروعة هي تلك الحرب العادلة التي تكون في صورة الدفاع عن المقاصد الشرعية.
- أنّ كل ما حرّمه الإسلام من مطاعم ومشارب ومسالك لا يرمي إلى حرمان الإنسان أو منعه من اللذائذ الجسديّة، بل هو صون لصحته، وحرص على عفته، وضمان لاستقرار المجتمع وأمنه.
- أنّ الحدود الشرعيّة التي تبدو في عيون الأغيار شكلاً من أشكال العنف تعدّ من الروادع التي لا تطبق إلا بشروطها، وهي لا تنطبق إلا على الفاجر المعاند، بداية من حدّ السرقة والقتل العمد، ونهاية بحد الزنا والحرابة، فردع الفاجر والمعاند إن كان به شرّ فالخير الناتج عن تنفيذه أكبر وأعظم؛ وذلك ليستقيم المجتمع، و يأمن الناس من شرار المجرمين.

- أنّ المـرأة في كنف الإسـلام لها من الحقوق والرعايـة والاحترام ما لم تنله في دسـاتير ومواثيق العالم، أما حرص الإسـلام على عفتها، فـلا يرجـع برغبته في سـجنها أو حجبهـا أو الحجر عليهـا، بل من بـاب درء المفاسـد، وصـون لها من مطامع الأشـقياء، أمـا حقها في التعليم والعمل واختيار الزوج والانتفاع بالمال والنقد والاعتراض والمشاركة السياسية، كل ذلك مكفول، وأن عدم مساواتها بالرجل في المـيراث مبرّر بما على الرّجل تجاهها مـن التزامات، في حين عدم وجوبها عليها.
- أنّ السلطة السياسية في الإسلام مدنيّة، فلا كهنوت ولا باباويّة تنسخ الـشرع، فكل ما في السياسـة يخضع للتجربـة العملية؛ شريطة عدم مخالفة قطعيّ الثبـوت وقطعيّ الدلالة في الأمور الشرعيّة، والأمر بين المواطنين شـورى، والحاكـم مطاع، ولا يثار عليـه إلا إذا ثبت كفره البواح، وكان في خلعـه حماية للمقاصد الشرعيّة؛ شريطة ألا تتعرض البلاد أو العباد للمهلكة و إراقة الدماء.
- أنّ للكتابيّين والذميّين والأغيار كافة حقوقًا في الدولة الإسلامية؛ فلا يعتـدى عليهم، أو يحقَّروا، أو يضطهدوا، وأنّ على المسـلمين الطاعة والامتثـال لقوانين الدولة إن كانوا أقليّة فيهـا؛ فلا غدر، ولا إرهاب، ولا تآمر.
- أنّ الإسـلام ربـط بين الجميل والجليل والحسـن والخـير، وعليه: فهو لا يحـرّم الفنون من موسـيقى وشـعر وتصوير وتمثيل مـا دامت تلك الفنـون لا تخـرج عـن نطـاق الأدب والـذوق الراقي، أمـا الفحش

والازدراء والتدني، فلا يمكن درجه ضمن الفنون الراقية، وعلى ذلك: فهو من المحرمات؛ حفاظًا على أخلاقيات المجتمع.

- ❐ أنّ الدعوة المحمدية جاءت لتتمة مكارم الأخلاق، ومن ثمّ: باتت هي الدستور الأمثل لا للإنسانية فحسب، بل للبيئة أيضًا، فالإسلام أرفق الشرائع بالحيوان والنبات والحجر والأنهار والبحار؛ أي أرفق بالبيئة على اعتبارها نعمًا مسخرةً لخدمة من استخلفه الله على الأرض.

نقول: أين نحن من هذه المبادئ في سلوكنا وعيوبنا وعوائدنا وأقوالنا؟ نقول: إن المجتمع الإسلامي يحتاج إلى إعادة بناء؛ تُرسى فيه الوسطية من جديد، ويُقتلع التطرف من جذوره، فلا غرو في أن تلك الجماعات المتأسلمة - وهي تلك العصابات العلمانية المجترئة - قد نقلت أبشع الصور وأسوءها عن المجتمعات الإسلامية المتخلف حضاريًّا، والمنحط أخلاقيًّا.

❐❐❐

في حرية الفكر والتساجل والحوار يكمن العلاج

هل حرية الاعتقاد والفصل بين الثابت والمتغير من الآليات التي تمكننا من معالجة التطرف؟

إن هناك العديد من المصطلحات التي نرددها دون أن نحدد معناها، ثم نطالب بها على أنها واضحة بذاتها، وحق لا يمكن إنكاره، شأن كلمة حريّة، فما المقصود بها؟ فعندما نقول: حرية الاعتقاد مثلاً لا يقصد بها نقض الراسخ من ثوابت الآخرين، أو الاجتراء على المقطوع بصحته، أو التهكم على العبادات، أما دون ذلك من نقد آراء الفقهاء أو تحليل كتب التراث أو رفض